وول ستريت جورنال / عرض فلسطيني جديد للسلام مع إسرائيل

يقترح مشايخ الخليل مغادرة السلطة الفلسطينية والانضمام إلى اتفاقات إبراهيم.

بواسطة إليوت كوفمان

لم تبدُ فكرة حل الدولتين لإسرائيل والفلسطينيين أكثر عبثاً مما كانت عليه في الأشهر التي تلت 7 أكتوبر 2023. ولكن ربما يفتح ذلك الباب أمام طريقة جديدة لتحقيق السلام.

يقول الشيخ وديع الجعبري، المعروف أيضاً باسم أبو سند، من خيمته الاحتفالية في الخليل، أكبر مدينة في الضفة الغربية تقع جنوب القدس: "نريد التعاون مع إسرائيل". "نريد التعايش." قال زعيم عشيرة الجعبري الأكثر نفوذاً مثل هذه الأشياء من قبل، كما فعل والده. لكن هذه المرة مختلفة. وقع الشيخ الجعبري وأربعة شيوخ بارزين آخرين في الخليل رسالة تتعهد بالسلام والاعتراف الكامل بإسرائيل كدولة يهودية. خطتهم هي أن تخرج الخليل من السلطة الفلسطينية، وأن تنشئ إمارة خاصة بها، وأن تنضم إلى اتفاقات إبراهيم.

الرسالة موجهة إلى وزير الاقتصاد الإسرائيلي نير بركات، عمدة القدس السابق، الذي أحضر السيد الجعبري وشيوخاً آخرين إلى منزله والتقى بهم أكثر من اثني عشر مرة منذ فبراير. يطلبون منه تقديمهم إلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وينتظرون رده.

“تعترف إمارة الخليل بدولة إسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودي”، يكتب الشيوخ، “وتعترف دولة إسرائيل بإمارة الخليل كممثل للسكان العرب في منطقة الخليل”. إن قبول إسرائيل كدولة يهودية يذهب إلى أبعد مما فعلته السلطة الفلسطينية على الإطلاق، ويجتاح عقوداً من الرفض.

تسعى الرسالة إلى جدول زمني للمفاوضات للانضمام إلى اتفاقات إبراهيم وترتيب عادل ولائق من شأنه أن يحل محل اتفاقات أوسلو، التي لم تجلب سوى الأضرار والموت والكوارث الاقتصادية والدمار”. إن اتفاقات أوسلو، التي اتفقت عليها إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في التسعينيات، “جلبت علينا السلطة الفلسطينية الفاسدة، بدلاً من الاعتراف بالقيادة المحلية التقليدية والأصيلة”. ستكون تلك هي العشائر، العائلات العظيمة التي لا تزال تشكل المجتمع الفلسطيني.

يقترح الشيوخ أن تقبل إسرائيل 1000 عامل من الخليل لفترة تجريبية، ثم 5000 عامل آخرين. يقول الشيخ الجعبري وشيخ بارز آخر إن السيد بركات أخبرهم أن هذا العدد سيزداد إلى 50000 عامل أو أكثر من الخليل. يعد العمل في إسرائيل مصدراً قيماً للدخل للمجتمعات الفلسطينية، التي لم يكن لها سوى القليل من التطور في ظل حكم السلطة الفلسطينية، ولكن معظم التصاريح علقت بعد 7 أكتوبر. وتتعهد رسالة الشيوخ “بعدم التسامح مطلقاً” مع الإرهاب من قبل العمال، “على النقيض من الوضع الحالي الذي تدفع فيه السلطة الفلسطينية الجزية للإرهابيين”.

يقول السيد بركات إن عملية السلام القديمة فشلت، لذلك “هناك حاجة إلى تفكير جديد”. كان يعمل بمعرفة حكومته الإسرائيلية لاستكشاف الاحتمالات مع الشيوخ. يقول مصدر إسرائيلي كبير إن السيد نتنياهو كان داعماً ولكنه حذراً، في انتظار معرفة كيف تتطور المبادرة. قد يكون التوقيت خارج عن يديه الآن بعد أن قام الشيخ الجعبري بتمديد غصن الزيتون في الأماكن العامة.

من خلال خطوتهم الجريئة، يتوقع الشيوخ أن يتأرجح الرأي العام الإسرائيلي إلى جانبهم. يقول السيد بركات: "لا أحد في إسرائيل يؤمن بالسلطة الفلسطينية، ولن تجد العديد من الفلسطينيين الذين يفعلون ذلك أيضاً". "يريد الشيخ الجعبري السلام مع إسرائيل والانضمام إلى اتفاقات إبراهيم، بدعم من زملائه الشيوخ. من في إسرائيل سيقول لا؟"

غالباً ما يستشهد الشيخ الجعبري البالغ من العمر 48 عاماً بأسلافه اللامعين، لكن أفعاله تسترشد كثيراً بنظرته للمستقبل. "لن تكون هناك دولة فلسطينية – حتى بعد 1000 عام"، كما يقول. "بعد 7 أكتوبر، إسرائيل لن تعطيها". يوافق شيخ الخليل البارز الثاني، الذي وقع وأعلن ولاءه للشيخ الجعبري: "إن التفكير فقط في إقامة دولة فلسطينية سيقودنا جميعاً إلى كارثة". (تحدث الشيوخ الآخرون دون الكشف عن هويتهم من أجل سلامتهم.)

شاهدت مقاطع فيديو للشيخ الجعبري وشيخ آخر يوقعان على الرسالة وراجعت الوثائق التي تفصل الخطة التي تم وضعها مع السيد بركات، والتي تشمل إنشاء منطقة اقتصادية مشتركة على مساحة تزيد عن 1000 فدان بالقرب من السياج الأمني بين الخليل وإسرائيل. يتوقع الشيوخ أن توظف عشرات الآلاف.

تسرد وثيقة باللغة العبرية شيوخ منطقة الخليل الذين انضموا إلى مبادرة الإمارة. تحتوي الدائرة الأولى على ثمانية شيوخ كبار، يُعتقد أنهم يقودون 204,000 من السكان المحليين. تسرد الدائرة الثانية 13 شيخاً آخر، يقودون 350,000 آخرين. هذا يجعل غالبية أكثر من 700,000 شخص في المنطقة. أقسمت كلتا الدائرتين بالولاء للشيخ الجعبري في هذا الأمر، وهو شريك إسرائيلي للشيخ الشاهد. ومن بين أفراد العشائر هؤلاء أيضاً العديد من جنود المشاة المحليين للسلطة الفلسطينية. يتوقع الشيوخ منهم الوقوف إلى جانب العائلة.

يقول الشيخ الجعبري: "أخطط لقطع السلطة الفلسطينية. إنها لا تمثل الفلسطينيين". يقول إن العشائر حكمت محلياتها الخاصة لمئات السنين. ثم "قررت الدولة الإسرائيلية لنا. لقد جلبت منظمة التحرير الفلسطينية وقالت للفلسطينيين: خذوا هذا". تم نفي منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات إلى تونس، بعد طردها من الأردن ولبنان، عندما تم تركيب أول اتفاق أوسلو في عام 1993 في الضفة الغربية. كان هذا يسمى عملية السلام، لكن الشيخ يقول إنه لم ير أي سلام منها.

يقول الشيخ الجعبري: "هناك مثل عربي: فقط عجول القرية هي التي تحرث أرضها. هذا يعني أن الشخص الذي يعيش لعقود في الخارج – ماذا يعرف عن مكان وجود ينابيع المياه في الخليل؟ الشيء الوحيد الذي يعرفه عن الخليل هو تحصيل الضرائب".

أربعة شيوخ آخرون من الخليل، الذين أقابلهم بشكل منفصل عبر Zoom، أكثر صرامة. "أطلقت منظمة التحرير على نفسها اسم حركة تحرير. ولكن بمجرد أن يسيطروا، يتصرفون فقط لسرقة أموال الناس،" يقول أحد الشيوخ البارزين. "ليس لديهم الحق في تمثيلنا – لا هم ولا حماس، فقط نحن أنفسنا".

"نريد أن يسمع العالم ألمنا"، يدق شيخ آخر. "السلطة الفلسطينية تسرق كل شيء. حتى أنهم يسرقون مياهنا. ليس لدينا ماء للشرب." يقولون إنهم يفعلون ذلك فقط لأن السيد بركات حصل على عمدة المستوطنة الإسرائيلية كريات أربع لبناء أنبوب مياه يربط وسط الخليل. يقول الشيوخ إنهم يتعايشون في الغالب مع المستوطنين، وأن العديد من الفلسطينيين اعتادوا كسب أموال جيدة في المستوطنات.

سيجد المستوطنون الكثير مما يعجبهم في الخطة، التي تنفصل عن مخطط اتفاقات أوسلو لتقسيم الأرض. في حين أن شيوخ الخليل سيحصلون على الأراضي، وكذلك المستوطنون، من الأراضي المفتوحة في ما يعرف باسم المنطقة ج. لكن كم، وأين؟ هل يمكن أن تتحول إلى استيلاء على الأرض؟

هذه هي التفاصيل الرئيسية التي تقول الرسالة فقط إنه يجب التفاوض عليها. إنها تحتوي على احتمال حدوث خلاف متفجر. ثم مرة أخرى، تذكر رسالة الشيوخ المحادثات مع يوسي داغان، زعيم المستوطنين للسامرة. يقول إنه يدعم الخطة ويعمل عليها، وأن قضايا الأرض يمكن حلها بين المؤمنين الذين يريدون السلام. يقول السيد داغان إنه التقى بالشيخ الجعبري لأول مرة قبل 13 عاماً: "كان والده قائداً شجاعاً وضع شعبه أولاً، والابن هو نفسه". التقى الشيوخ أيضاً بإسرائيل غانز، الذي يقود مجلس المستوطنات، والذي عمل معه السيد بركات على الخرائط المحتملة.

يقول السيد بركات إن الناس في جميع أنحاء العالم يسألون إسرائيل، "أنت ضد حل الدولتين، وأنت ضد حل الدولة الواحدة، فما الذي أنت عليه بحق الجحيم؟" كانت الإجابة التي وجدها، منذ حوالي خمس سنوات، هي حل الإمارات. إنه من بنات أفكار مردخاي كيدار، عالم الثقافة العربية في جامعة بار إيلان الإسرائيلية. أحضر السيد كيدار الشيخ الجعبري إلى السيد بركات وشاهد الشراكة تزدهر.

"هل رأيت الرسالة؟" يصرخ السيد كيدار. هذا يعني أنه يحدث حقاً. لمدة 20 عاماً، كان يحاول بيع فكرة الإمارات الفلسطينية، مع المدن السبع المميزة ثقافياً في الضفة الغربية التي تديرها عشائرها الرائدة بشكل فردي. التقى لأول مرة بوالد الشيخ الجعبري، الشيخ أبو خضر، قبل 11 عاماً. يقول السيد كيدار: "لكسب الثقة وكسبها، عليك أن تجلس مع رجل". "هذا يعني التحدث معه في مامالوشين" – المصطلح اليديشي للغة الأم – "باللغة العربية".

يقول إن الدول الفاشلة في العالم العربي – لبنان وسوريا والعراق والسودان واليمن وليبيا – هي تكتلات من الجماعات العرقية والدينية والطائفية، مع فرض الدول الحديثة بشكل هائل على القمة. النجاحات – الكويت وقطر وعمان والمملكة العربية السعودية والإمارات السبع في دولة الإمارات العربية المتحدة – تسيطر على كل منها عائلة واحدة. "يمتلك آل الصباح الكويت. ويمتلك آل ثاني قطر. ويمتلك آل سعود

المملكة العربية السعودية"، كما يقول. "دبي لديها القليل جداً من النفط، ولكنها تُدار من قبل عائلة واحدة، آل مكتوم"، لذلك يمكن أن تزدهر."

كانت فكرة منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية هي استبدال الولاءات التقليدية للعشائر والدين بهوية فلسطينية وطنية. يقول السيد كيدار: "لقد فشلت، والدليل هو حماس"، التي تضع الإسلام الراديكالي في المقام الأول. تحت كل ذلك، نجا نظام العشائر: "شخص ما من الخليل – لن ينتقل فقط إلى بلدة أخرى في الضفة الغربية لأنه سينظر إليه على أنه أجنبي، ولكن حتى في الخليل لن ينتقل إلى حي آخر ينتمي إلى عشيرة أخرى".

عشائر الجبل قوية بشكل خاص. يقول السيد كيدار: "الخليل أكثر تقليدية وأكثر محافظة، خاصة بالمقارنة مع رام الله". "ستكون الخليل حالة الاختبار لهذه الفكرة عن الإمارات." يتوقع هو والسيد بركات والشيوخ جميعاً أن تضع الخليل الأساس للتغيير في مدن الضفة الغربية الأخرى، وربما بعد ذلك في بيت لحم، مما يعيد تشكيل العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية.

"تحاول منظمات مثل منظمة التحرير الفلسطينية وحماس بناء شرعيتها على كراهية اليهود وكراهية إسرائيل. يقول السيد كيدار: "لكن العشائر شرعية بحكم تعريفها". "إنهم لا يحتاجون إلى عدو خارجي لتخويف الجميع من الدخول تحت رعاية حاكم غير شرعي."

يقول الشيخ الجعبري إن السلطة الفلسطينية التي تتخذ من رام الله مقراً لها "لا تستطيع حمايتنا، بل لا يمكنها حتى حماية نفسها". ويحذر زملاؤه الشيوخ من أن السلطة الفلسطينية يمكن أن تسمح بهجوم إرهابي على غرار 7 أكتوبر على إسرائيل، وبعد ذلك يتوقعون أن تبدو الضفة الغربية مثل غزة، خوفهم الكبير. لكن شيخ الخليل البارز يقول: "إذا حصلنا على مباركة الرئيس المحترم ترامب والولايات المتحدة لهذا المشروع، فقد تكون الخليل مثل الخليج، مثل دبي".

هذه هي الطريقة التي وضع بها السيد ترامب الخيارات للشرق الأوسط في خطابه في 13 مايو في المملكة العربية السعودية. هل تريد أن تكون مثل إيران أم مثل الخليج؟ اتخذ الشيوخ قرارهم.

لكن هل ستنطلق خطتهم من الأرض؟ يقول السيد بركات إن الشيوخ الخمسة الأوائل كانوا مستعدين للانتقال في نهاية شهر رمضان، بعد توقيع الرسالة في 24 مارس. يشتكون من أنه طلب منهم الانتظار لعدة أشهر لأن إسرائيل كانت مشغولة، أولاً في غزة، ثم في إيران. يذكر السيد بركات المسؤولين الإسرائيليين بأن الشيوخ وضعوا حياتهم في خطر ويعملون على جدول زمني خاص بهم. الآن، كما يقول، يجب على إسرائيل حمايتهم: "السلطة الفلسطينية هي المشكلة، وهم الحل".

انضم العديد من الشيوخ إلى المبادرة منذ مارس، والقادة واثقون من أنهم قد تفوقوا على السلطة الفلسطينية. يقول أحد الشيوخ: "الناس معنا". "لا أحد يحترم السلطة الفلسطينية، ولا أحد يريدهم." السبب الوحيد لانتظار إسرائيل "هو أنها تحمي السلطة الفلسطينية".

هذه هي المشكلة. إذا خرج رجال الشيوخ المسلحون بشكل غير قانوني إلى الشارع، فهل سيقف جيش الدفاع الإسرائيلي وجهاز الأمن العام (الشاباك) ضدهم؟ إذا كان الأمر كذلك، فسيكون انتصار العادة على العقل، كما يقول السيد بركات. منذ أوسلو، قبل 30 عاماً، تلقت أجهزة الأمن الإسرائيلية تعليمات بالعمل مع السلطة الفلسطينية. هذا كل ما يعرفونه.

رفض الشاباك التعليق. ومع ذلك، تقول مصادر سياسية وأمنية إن الوكالة تعتبر السلطة حاسمة في مكافحة إرهاب الضفة الغربية، وعارضت خطة الشيوخ داخلياً. تكثر المخاوف من العنف أو الفوضى المحتملة في مدن الضفة الغربية الأخرى، حيث لا يكون الشيوخ مستعدين. أثار جيش الدفاع الإسرائيلي أيضاً مخاوف.

يعتقد الكثيرون في المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أن عشائر الضفة الغربية مجزأة جداً بحيث لا يمكنها الحكم أو محاربة الإرهاب. "كيف تتعامل مع العشرات من العائلات المختلفة، كل منها مسلحة، وكل منها تحت سيطرتها الخاصة؟" يسأل اللواء المتقاعد جادي شامني، الذي قاد القيادة المركزية للجيش الإسرائيلي من 2007 إلى 2009. "سيتم القبض على جيش الدفاع الإسرائيلي في تبادل لإطلاق النار – ستكون فوضى أو كارثة." يرفض السيد شامني فكرة أن "التطلعات الوطنية للفلسطينيين ستختفي ويمكنك التعامل مع كل قبيلة على حدة". من وجهة نظره، "لا توجد طريقة للسيطرة على الضفة الغربية وإدارة الحياة هناك بدون سلطة مركزية".

العميد المتقاعد أمير أفيفي، مؤسس منتدى الدفاع والأمن الإسرائيلي، لا يوافق. يقول إن السلطة الفلسطينية هي الحاضنة المركزية للإرهاب، من خلال تلقين المدارس ودفع رواتب الإرهابيين. كما يقترح أن الشاباك قد يغيّر رأيه عندما يتولى دافيد تسيني، الجنرال اليميني الذي رشحه السيد نتنياهو، الوكالة قريباً.

التقى السيد أفيفي بالشيخ الجعبري عدة مرات وحكم عليه بجدية، خاصة بعد حشد العديد من الشيوخ الآخرين إلى جانبه. ويضيف: "إذا كان موقف إسرائيل هو أنه لا يمكن السماح للسلطة الفلسطينية بالحكم في غزة لأنهم إرهابيون وفاسدون، فلماذا هم على ما يرام في الحكم في الضفة الغربية؟"

يقول الشيوخ إنهم يمكنهم إزالة السلطة الفلسطينية من الخليل في غضون أسبوع أو يوم، اعتماداً على مدى عدوانية تحركهم. "فقط لا تتورطوا"، ينصح شيخ الخليل البارز إسرائيل. "كونوا خارج الصورة." يعتقدون أن دعم السيد ترامب يمكن أن يحققه مع السيد نتنياهو.

يقولون أيضاً إنهم قادرون ومتحمسون لمحاربة الإرهاب. يقول أحدهم: "نحن نعرف من يسبب المشاكل ومن لا يفعل، لأننا نعيش في أرضنا". الأيديولوجية والتطرف تهديدان للولاء القبلي والبراغماتية الاقتصادية التي تعتمد عليها سلطة الشيوخ.

قد يقول الساخرون إن الشيوخ يحتقرون السلطة الفلسطينية لاستخراج الإيجارات التي يفضلونها لأنفسهم. لكن فكر في المنافسة. يظهر لي شريك إسرائيلي في الشيوخ مقطع فيديو لحاكم السلطة الفلسطينية في الخليل، خالد دودين، يشكو في خطاب 4 يناير من أن رجال الشيوخ يطلقون النار عليهم ولكن ليس على إسرائيل.

قوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية غير مرحب بها بالفعل في أحياء الشيوخ وستخاطر بحياتها إذا ظهرت هناك دون تنسيق إسرائيلي مسبق. في عام 2007، أطلقت الشرطة الفلسطينية النار وقتلت أحد المراهقين في عشيرة الجعبري. طلب والد الشيخ تسليم مطلق النار. عندما رفضت السلطة الفلسطينية، استولى رجال الشيخ على مركز الشرطة، وأحرقوا 14 سيارة جيب واحتجزوا 34 ضابطاً كرهائن، وفقاً لمقال في صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية. انتهى الاشتباك فقط عندما تراجع الرئيس محمود عباس، وأعلن الصبي شهيداً ودفع تعويض عائلته مدى الحياة. منذ ذلك الحين، تتمتع السلطة الفلسطينية بنفوذ أقل في المنطقة.

ورداً على سؤال عما إذا كان قلقاً من أن يُطلق على رؤيته للتعايش مع إسرائيل خيانة للشعب الفلسطيني وقضيته، يسخر الشيخ الجعبري. "تمت الخيانة في أوسلو. لقد نسيت، لكنني أتذكر – 33 عاماً من الوعود الكاذبة والعنف والسرقة والفقر، حتى مع تدفق مليارات دولارات المساعدات من الغرب. يقول الشيخ: "أنا أؤمن بطريقي". "ستكون هناك عقبات، ولكن إذا واجهنا صخرة، فسيكون لدينا حديد لكسرها."

السيد كوفمان عضو في هيئة تحرير المجلة. ساهم يونا جيريمي بوب في إعداد التقارير من الخليل.